Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الانسانية
العدد (101) المجلد (3) ايلول 2024

تَمَثُّلاتُ مَابَعد الكُولُونيّالِيَةِ فِي شِعْرِ مُظَفَر النَوّابِ

أ.م.د حسين عمران محمّد
جامعة كَرميان ، كلية التربية

Email:
hussein.imran@garmian.edu.krd

Published: 1- 9-2024

Keywords: مابعد الكولونيالية ، الكولونيالية الجديدة ، مظفر النواب ، النقد الثقافي

Abstract

This study uses post-colonial theories to examine the literary production of the Iraqi poet Mudhaffar al-Nawwab (d. 2022), who is known for his poetry about the struggles of oppressed people. By describing the post-colonialism as a theory of criticism that deals with revealing different phenomena and fields in the contexts of resistance on the one hand and domination of the economic, military and mediatic hegemony of the great powers on the other hand. Hence, the research chose its title "Representations of Post-colonialism in the Poetry of Mudhafar Al-Nawwab"

The study treats three main axes: The first axis examines the consequences of colonialism and its effects on the colonized people. The second one explores the center and the periphery. The third analyzes the post-colonial discourse in Al-Nawwab's poetry.

This paper ends with a conclusion of the most important results of the research, an English abstract, then the footnotes of the study followed by the references

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

لخصوصية الخطاب الشعري للمبدع العراقي مظفر النواب (-2000م) في قضايا الشعوب المغلوبة استضاءت هذه الدراسة طروحات ما بعد الكولونيالية في قراءة متنه الشعري ، وبوصف مابعد الكولونيالية نظرية فاعلة في حقول متباينة منها النقد ، وتعنى بالكشف عن ظواهر ومجالات مختلفة في سياقات المقاومة من جانب والتسلط والهيمنة للقوى الكبرى اقتصادياً وعسكرياً وأعلاميا من جانب آخر انتقى البحث عنوانه الموسوم " تمثلات مابعد الكولونيالية في شعر مظفر النواب " وقد عالجت هذه الدراسة العينة المنتقاة في ثلاثة محاورة هي تبعات الاستعمار أولاً ، والمركز والهامش ثانياً ، وتعرية الخطاب ما بعد الكولونيالي ثالثاً .

المقدمة

تنهض المدونة الشعرية في التراث البشري بأدوار مختلفة ومنها مسار المقاومة بالتجربة الشعرية بوصفها تجلياً من تجليات مقارعة الهيمنة الكولونيالية ، ومن أجل ذلك فإن البحث يسعى إلى الاستنارة بنظرية ما بعد الكولونيالية في معالجة الخطاب الشعري عند مظفر النواب ومن هنا جاءت الدراسة موسومة بـ" تمثلات ما بعد الكولونيالية في شعر مظفر النواب " وكيف عالج النوّاب أشكالاً امبريالية وتجارب استعمارية مارستها القوى الكولونيالية على دول شرق أوسطية وغيرها في آسيا . عانى مظفر النواب آثار مرحلتين للسيطرة الاستعمارية هما مرحلة الكولونيالية ومابعدها ، ومن ثم فإنّ مفهوم ما بعد الكولونيالية يستوعب المفاهيم الثلاثة التي حصرها دوغلاس روبنسون لمابعد الكولونيالية ، وهي دراسة المستعمرات منذ استعمارها ومنذ استقلالها والعلاقات الكولونيالية في كل الانحاء المعمورة .

تظهر أهمية هذه الدراسة في إضاءة هذا المتن الشعري بطروحات مابعد الكولونيالية ومعاينة أبرز القضايا التي نالت عناية النوّاب في مقاومته للإستعمار والإمبريالية وكذلك استكناه قبحيات النسق الثقافي في الرؤى والمواقف المترشحة من نصوص الشاعر في إطار جدلية الصراع بين المستعمِر والمستعمَر . من الدراسات العربية والغربية التي اعتنت بمقاومة الإستعمار وشملت أجناساً أدبية مختلفة ، هي : 1-أدب المقاومة لغالي شكري 1970 ، 2-أدب المقاومة للباحثة الأمريكية باربرا هارلوا 1987 3-موضعة الشاعر : بدر شاكر السياب والعراق

مابعد الكولونيالي : تيري دي يونغ –الباحثة الامريكية وأستاذة الأدب العربي بجامعة واشنطن 4–الأنا والآخر من منظور مابعد الكولونيالية في رواية فضل الليل على النهار لـ " ياسمينة خضرة "،للطالبتين قميدة وسيلة و قط مريم ، مذكرة ماستر ، الجزائر ،2021

عالجت الدراسة العينة المنتقاة في ضوء نظرية مابعد الكولونيالية ثلاثة محاور رئيسة هي : الأول –تبعات الاستعمار وآثاره ، الثاني– المركز والهامش، الثالث – تعرية الخطاب مابعد الكولونيالي عند النوّاب . وانتهت بخاتمة لأبرز نتائج البحث ثم ملخصاً باللغة الانكليزية ثم هوامش الدراسة ، وكان مسرد البحث ومراجعه مسك الختام لها .

المحور الأول : تبعات الاستعمار وآثاره ، يعتني هذا المحور من الدراسة برصد تبعات الاستعمار على الدول العربية المستعمرة وتشخيص الآثار الناجمة على تلك الدول بعد مرحلة التحرر والاستقلال سياسياً واقتصادياً وأمنياً وعسكرياً . وأبرز صور هذه التبعات هي

1–التبعية السياسية ، وهي إحدى المشكلات الناجمة عن الفعل الاستعماري وتناولها النوّاب على مساحة كبيرة في نتاجه الشعري مشكّلة تعرية لثقافة المستعمِر وسلوكياته وانحيازاته الصارخة . تدل التبعية على مجمل العلاقات غير المتساوية مع ميل تراكمي إلى التفاقم في الأنظمة الاقتصادية والسياسية والثقافية غالباً لوصف الوضع في البلدان النامية بمواجهة البلدان المتقدمة أو كما يقول أغلب مؤلفي أمريكا اللاتينية بلدان الأطراف بمواجهة بلدان المركز ، وله مفهوم إيديولوجي متين بما أنَّه مأخوذ غالباً كمرادف للاستغلال والهيمنة .[1] من أمثلة التبعية السياسية للقوى الاستعمارية المهيمنة على السياسية الخارجية العربية قول النوّاب :[2]

وجيْ برأس فلسطين وزنديها
فالتم عليها ذوو النُّهى
يكشف كل عن عورته
وكنتُ أميّزُ بين النهمين
بنانة كافور وأبرهة الحبشي وعمرو بن العاص
وأجداث مسليمة الكذاب
وحاكم مكة والقانون الجائر في البحرين

وقابوس

وكل المأمورين بأمريكا "

خطاب النوّاب الشعري يظهر العلاقة بين القوى الكبرى لاسيّما الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وبين الأنظمة العربية وتترشح من هذه العلاقة ما يأتي :

-إنَّ التبعية السياسية العربية للدول الكبرى تتجلى في مأمورية تلك الأنظمة وخضوعها لآمرية أمريكا وترتب على ذلك رسم القوى الإمبريالية لمسارات الأوضاع السياسية محلياً وإقليمياً ودولياً .

-فضح الخطاب الشعري لدعاوى المراكز الكولونيالية والامبريالية وزيف شعاراتها في تحرر الشعوب ونيل استقلالها السياسي الكامل بل اللجوء الى التعاون مع تلك المراكز وإنشاء تحالف مع حكام مستبدين وجائرين .

-إنَّ الاستجابة السلبية للمنظومة السياسية العربية لأجندة القوى الاستعمارية تكشف عن وحدة تلك الأنظمة السياسية على الرغم من اختلاف ايديولوجياتها ومصالحها مع بعضها الأخر والإسراع في تنفيذ المشاريع الاستعمارية للقوى الامبريالية وهو ما يظهر جلياً في العبارات الآتية " فالتم عليها ، يكشف عن عورته ، النهمين " .

-توظيف رموز الشخصيات التاريخية والسياسية ومنها : كافور وأبرهة وعمرو بن العاص ومسيلمة الكذّاب وحاكم مكة لزيف تلك الأنظمة السياسية العربية في حملها للواء الدين والقومية بوصفهما عاملين من عوامل مخاتلة الشعوب وخداعها ، أو تبعيتهم إلى مراكز الامبرطوريات ولاسيّما كافور الاخشيدي إلى الدولة العباسية وأبرهة الحبشي إلى مملكة أكسوم . والملاحظ أن ثقافة النواب ولاسيما في حكمه السلبي على كافور الأخشيدي جاءت متأثرة ومنسجمة مع الصورة النمطية للمتنبي لحاكم الاخشيديين في ذهن القارئ العربي وإن تبعية الامارة الاخشيدية للخلافة العباسية هي مدح لا ذم في السياق السياسي والديني حينذاك ؛ لأنّ الخليفة العباسي كان يمثل الرمز الديني والسياسي لغالبية المسلمين على الرقعة الجغرافية الممتدة من بلاد السند وخراسان إلى المغرب العربي .

2-التبعية الاقتصادية ، من إفرازات الإرث الكولونيالي على الشرق الأوسط ولاسيّما الدول العربية بعد الاستقلال السياسي النظري هو ربط اقتصاديات الدول المحررة حديثاً بالقوى الامبريالية والاستعمارية وجعل الاقتصاد أداة من أدوات

الهيمنة الاستعمارية ، وواحدة من استراتيجياتهم الناعمة في السيطرة على العالم المستعمَر ، ومن أجل ذلك لا يفتأ النوّاب في ملاحقة هذا الشكل من التبعية والكشف عن تبعياتها المدمرة ، ولا سيّما في قوله : [3]

ما أعظم ما صنع النفط العربي بنا
نتجشأ حتى التخمة جوعاً
والملك النفطي يخاف على النقد من الفئران
وهذا الغرب بكل تكامله وتفاضله الذريين
وعلى النفط جميعاً يجمعنا
وعلى النفط جميعاً يذبحنا "

وقال في موضع آخر :[4]

آه ... صرخ الوزراء الفأريون
يدوس على ذيل وزير النفط
يقال....
وزير النفط له ذيلٌ يخفيه بكيس أمريكي
ويصوت ضد الإرهاب به "

وقال متحدياً المشككين :[5]

" ولِمَن لايعرف أن الشركات النفطية
في التُكْنات هناك يراجع قدراته العقلية "

إنَّ النصوص المنوه بها تتمحور حول قضيتين ، الأولى : ربط انحدار الحالة المعيشية والثروات النفطية إلى أدنى مستوياتها على الرغم من امتلاك تلك الدول للموارد الطبيعية الهائلة . الأخرى الرؤية الاستشرافية للوضع الاقتصادي والسياسي للدول العربية النفطية وتكريس مبدأ ديمومة الاقتصاد المسيطر تجارياً ومالياً وغذائياً للقوى الاقتصادية الكبرى على الاقتصاديات المتعثرة والنامية وإن التبعية الاقتصادية ولاسيما في قطاع النفط وما تتبعها من تأسيس الشركات النفطية وما تتبعها من التأمين العسكري أسهمت كثيراً في جعل الدول العربية ميداناً لاندلاع صراعات إقليمية ودولية بين المراكز والأطراف وشبه الأطراف وفي ضوء ذلك فإن هذا النمط من التبعية يتساوق ومصطلح الكولونيالية الجديدة الذي صاغه كوامي نكروما وقصد به "أنه على الرغم من تحقيق دول الاستقلال النظري ، فإنَّ

بقايا الكولونيالية السابقة والقوى الجديدة العظمى الصاعدة على المشهد العالمي مثل الولايات المتحدة الامريكية ظلت تلعب دوراً حاسماً في مصائر هذه الدول عن طريق تثبيت هذه الاسعار في الأسواق العالمية ، والشركات المتعددة الجنسيات ، والاتحادات الاحتكارية ، اضافة إلى تنويعة من المؤسسات التعليمية والثقافية " .[6]

3-التبعية الأمنية ، تنهض المنظمة الأمنية في علاقات الهيمنة ركنا مهماً في المشاريع الكولونيالية والإمبريالية ، ولهذا لم يخلُ النص الشعري مابعد الكولونيالي عند النوّاب من رصد هذه الظاهرة وملاحقتها ، ومن ذلك قوله :[7]

" تنهبنا الشركات وتصدر نشرات
أنَّ لصوصاً عرباً ارهابيين
يجوبون مطارات العالم
في كل مطارات العالم
في كل مطارات بني عطر وخنزير
نجرد جرداً تنفض حتى الفقرات
ويعلم كلب الشرطة أن يعرف رائحة العربي
ويعرف لائحة اللاجئ من غير اللاجئ
إن كلاب الشرطة هذه لتنسق بالتأكيد
مع السلطات العربية والأمريكية والقردة "

احتضن السطران الشعريان الأخيران التبعية الأمنية وأثرها في المجتمع العربي ولاسيّما المناهضين لمخططات هيمنة القوى العالمية وهذا الشكل من التبعية ذو آصرة وثيقة بنظرية مابعد الكولونيالية كونها تهتك وجهة نظر المستعمِر وتفسح المجال لاطلاق صوت المقموع . كما يبرز نص النوّاب بوضوح أن التنسيق الأمني بين السلطات الأمريكية والعربية قائم على قاعدة تسخير امكانات الأذل لمصالح الأعز وليس على قاعدة المصالحة المتبادلة المنبثقة من توازن القوى وتشاكل الأقطاب ، أي سيادة سلطة التفوق والتغلب والعقاب ورفض المبادئ القانونية والمعايير الأخلاقية في تنظيم العلاقة بين السلطتين ومن هنا فإنَّ المطارات وغيرها من المؤسسات العربية هي مجال نفوذ للامن القومي الامريكي ، ومن ثم فإنَّ النص الشعري قد عرّى هذا النسق وشكّل معارضة لنسق كتابة المستعمِر ومقولاته .

المحور الثاني : المركز والهامش

انطلاقاً من مبدأ تغيير المواقع وتبادل الأدوار والرؤية النسبية في تحديد القيم والمفاهيم فإنَّ الخطاب مابعد الكولونيالي عند النوّاب يرتع في ثنائية المركز والهامش من منظور هويته الثقافية ، ومن ثم تأتي الذات والآخر عنده بوصفهما واحدة من تمظهرات تلك الثنائية وأفضت ذلك إلى تضافر مجموعة سياقات عند النواب في متنه الشعري للفصل بين الذات والآخر سواء أكانت سياسية أم ثقافية أم نفسية أم أدبية . والآخر ترادف مصطلح الغيريّة أوالآخرية وأصلها من الكلمة اللاتينية (alteritas) وتعني الحالة التي يكون عليها الآخر أو المختلف (alterego). [8] وأظهر المتن الشعري للنوّاب أشكالاً مختلفة وعديدة للذات والآخرية تبلورت من منظور الشاعر ولاسيّما ايديولجيته الفكرية وعقيدته السياسية أي أنّه تصنيف استبعادي يقتضي اقصاء كل ما لا ينتمي إلى نظام الفرد أو الجماعة أو المؤسسة سواء أكان للنظام قيمٌ اجتماعية أم أخلاقية أم سياسية ام ثقافية .[9] ويبغي الباحث في هذه المحور الكشف عن صور الذات في نسيج النواب الشعري ومنها :

أ-**الذات الثورية** ، وهي من صور الذوات المنبثة في الكون الأدبي للنوّاب نتجت عن الشعور بالانتماء إلى هوية عظيمة وثقافة خاصة تميزهم عن الآخر سواء أكان كولونيالياً أم امبريالياً ، فقاوم النواب مشروع الاستعمار ببعديه المباشر وغير المباشر متبنياً ثقافة المناهضة والكفاح وحرّض الشعب العربي على رفض الممارسات والضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية فكان صوته معلّماً في مسار المطالبة بالاستقلال الفعلي والتحرر من الكولونيالية والكولونيالية الجديدة ، قال في قصيدته " الاساطيل " :[10]

أيُّها الشَّعب احشِ المنافذ بالنار
احشِ مياه الخليج
تسلح... لا الحكومات ... لا الراجعون إلى الخلف
لا الأطلسي ولا الآخرون وإنْ نضحوا فلسفة
لا تخفْ.. لا تخفْ إنَّنا أمةٌ

- لوجهنم صبت على رأسها – واقفة
- ما حنى الدهر قامتها أبداً "

جسّدت الأسطر الشعرية المنوه بها تصوراً ثقافياً لاختلاف الذوات وتباين الهويات فظهرت مستويات من ثنائية المركز والهامش ومنها :

-ظهور الهامش في المجال الثوري والسياسي عن طريق الرفض والمقاومة المتمثلة بـ " الشعب " في بنية النص للسلطة المستبدة – المركز –

-يُفصح هذا الخطاب مابعدالكولونيالي عن رؤية مميزة في وصف الذات وموقعها من العالم وتجلّت تلك الذات الثقافية بالدال " أمة " في الجملة التأكيدية " إنَّنا أمة " في اشارة إلى الإمة العربية ومن ثم يقلب هذا الخطاب الثقافي ذو الطابع القومي ثنائية المركز والهامش بين وصف المنتمي إلى هذه الأمة وبين الآخر الاستعماري والإمبريالي .

ت-الكفاح المسلح بوصفه آلية من آليات المقاومة أخرج المقاومة من ظلمة التهميش والصمت إلى الإعلام، ومن ثم فالتسلح يمثل مركزاً في أدبيات المقاومة في قبال الهامش المتمثل بالدبلوماسية على المستوى الرسمي المتمثل بالحكومات أو النخب الثقافية المرموز إليهم بـ" وإن نضحوا فلسفة " . ومن نماذج الذات الثورية والحث على المقاومة وانتقاء سبيل العنف في مجابهة الفعل الكولونيالي قوله في قصيدة عبدالله الإرهابي :[11]

ما يؤخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة ..

بالإرهاب يُقطع اللوزة الصهيونية

بعد مخيم شاتيلا ياعبدالله

مسدسك القانون الدولي "

إنّ وجود الكيان الصهيوني سياسياً وجغرافياً وديموته هو بفعل الاستعمار البريطاني أولاً والإمبريالية الأمريكية ثانياً ، وكان العنف والقوة من آليتهما في فرض الهيمنة على الشعوب المستضعفة واستلاب أراضيهم ومن أجل ذلك تبنى النوّاب القوة والثورة لاسترداد المغتصب وهذه الدعوة إلى العنف تتساوق مع رؤية فرانز فانون ومنهجه في تبني العنف لدعم التحرر السياسي والثقافي إذ رآهُ قوة ايجابية وله صدى فاعل واستراتيجي نظراً لأنَّ القمع في ظل الاستعمار قد تم بالقوة والعنف فإنّه يجب تحقيق التحرر باستعمال العنف أيضاً .[12] ولأنَّ " محور الاستعمار إنّما هو حدث عنيف دائماً " .[13] من المنظور التفكيكي يحمل نص النوّاب ولاسيّما لفظ " الإرهاب " نواة تقويض وقيام النص بخلخة ذاته بذاته لأنَّه جهر بمعارضة صارخة وأسفر عن بنية متوترة فيه ؛لأنه نسف المعنى المتماسك المتمثل بمشروعية المقاومة والجهاد المسلح ضد الاستعمار والفكر الكولونيالي

باستدعاء الارهاب وجعله استراتيجية في تحدي الاحتلال ومناهضة الايديولوجية والإمبريالية و هو بذلك أي الشاعر يعيد انتاج آليات المستعمِر في التدمير والخراب " في ظل الأزمة الأخلاقية التي يعيشها النظام الدولي ، وفي ظل الإنتقائية في تطبيق القانون الدولي والشرعية الدولية وتوظيفها سياسياً ، مما تسبب بزيادة أعمال العنف في مناطق مختلفة من العالم " .[14]

ومن ثم فإنّ ظاهرة الارهاب وانتشارها في العالم تشير " إلى أزمة فكرية تعيشها المجتمعات المختلفة المرتبطة بفلسفة العنف لتحقيق أهدافها ، ويعبّر تفشي أعمال العنف على الصعيد الدولي عن اشكالية سياسية تتعلق بطبيعة العلاقات الدولية المستندة إلى تحكم الدول القوية عسكرياً في مصالح الدول الأضعف " .[15]

ب-الذات الهجينة ، وهي من أنماط الذوات الرئيسة نوعاً وليس كماً لمرحلة ما بعد الكولونيالية وتشكّل في الوقت نفسه علامة بارزة على حقيقة قضية الاستقلال ولاسيّما في بُعدها السياسي . وما أعنيه بالذات الهجينة في هذا السياق هو أن الذات العربية المتمثلة بالطبقة الحاكمة قد تشربت بمزيج من ثقافتين ، ومن ثم فالتهجين السياسي خاضع للزمكنة فالطبقة السياسية تمارس فعل التهجين في علاقتها بالآخر في قضايا خاصة ومحددة وخاضعة لمبدأ المصالح المتبادلة بينهم وبين الامبريالية . فالذات الهجينة برزت سياسياً في قضية فلسطين ومشاريع السِّلم ومنها قوله :[16]

"ماذا تُدعى سمة العصر وتعريض الطرق السلميّة ؟

ماذا يدعى استمناء الوضع العربي أمام مشاريع السّلم

وشرب النخاب مع السافل (فورد) ؟.. ماذا يدعى إرسال الجيش الإيراني إلى (قابوس) ؟

وقابوس هذا سلطان وطني جداً لا تربطه رابطة ببريطانيا العظمى

وخلافاً لأبيه وُلِد المذكور من المهد ديمقراطياً "

يحيل الخطاب الشعري عند النوّاب إلى ثقافة التهجين بوصفها استراتيجية معتمدة للنخبة العربية السياسية الحاكمة ، فهذه الطبقة قبلت ثقافة الآخر المستعمِر والامبريالي بوساطة ترويض تلك القوى للسلطات السياسية العربية لقبول ثقافة الآخر والتعايش السلمي في فضاء التنوع الديني – الاسلامي واليهودي – والقومي – العربي والعبري – وفرض الانفتاح والتعددية وفقاً للمنظور الامبريالي ومحاربة

الفكر الأحادي وثقافة الانغلاق من الرافضين للوجود الاستعماري والكيان الصهيوني وتعطيل دور المتشبثين بالمرويات الكبرى .

كما شخّص النوّاب صورة أخرى للذات الهجينة في خطابه الشعري قائلاً : " ماذا يدعى ارسال الجيش الايراني...ولد من المهد ديمقراطياً " الذات الشاعرة هنا فككت البعد الكولونيالي للإمبريالية الاقليمية والدولية انطلاقاً من مفهومي المركز والهامش وما يتصل بهما من ثنائيات (المستعمِر \ المستعمّر)، و(بريطانيا وإيران \ سلطنة عمان وقابوس) ، و (الوطنية \ العمالة) ، و(الاستقلال \ التبعية) ، و(الديمقراطية \ الدكتاتورية) ، و(الداخل \ الخارج)، و(الاتصال \ الانفصال) . وجاءت البنية اللغوية المصاغة باسلوب الاستفهام الانكاري : "ماذا يُدعى إرسال ..؟ " للكشف أولاً عن الذات الهجينة المتمثلة بالسلطان قابوس ؛ لأنَّ ذات السلطان تعتمد على تداخل نظامين ثقافيين مختلفين من أجل الحفاظ على سلطته وتحويل تلك الطاقة في العمل السياسي والمسار الدبلوماسي في الأزمات والصراعات الداخلية والخارجية وإنَّ استعانة الذات الهجينة بالنظام البهلوي في إيران للتدخل ومواجهة المعارضين في الوقت الذي يستولي النظام الشاهنشاهي على اقليم الأحواز ويخضعه لنفوذه وهيمنته ، بمعنى أن الذات الهجينة لا ترى بأساً في التعاون مع المستعمِر كما لا تنكر ثقافتها العربية لغة وأزياءً وغيرهما من أنظمة التراث القومي . إنَّ هذا الشكل من التهجين هو توليف من العمل السياسي ، المزدوج في الاستراتيجيات والمتضارب في المبادىء . وإنَّ النص الشعري المنوه به يضمر للمتلقي سؤالاً جوهرياً يمكن صياغته بالشكل الآتي : هل أن السلطات العربية الحاكمة أكثر وعياً من المثقف العربي في المجال السياسي وفي بناء حالة من التوازن بين القوى الاميريالية الاقليمية والدولية خارجياً وبين الحفاظ على المكتسبات السياسية ونظام الحكم داخلياً ؟ وهل المثقف العربي المتجسّد في هذا السياق بالشاعر يفتقر إلى وعي سياسي على الرغم من اعتناقه ايديولوجية عالمية متمثلة باليسار السياسي والكفاح الثوري في احتواء الآخر ؟

يرى الباحث أن مفهوم التهجين في الساحة الثقافية يتسم ببعدين ، أحدهما إيجابي والآخر سلبي ويصنف التهجين السياسي عند النخبة الحاكمة العربية بالسلبي بفعل الاستلاب السياسي الذي تفرضه القوى الامبريالية على تلك النخبة من أجل ديمومة وجودهم في السلطة . أما المثقف الشاعر – النوّاب في هذا السياق – فهو الآخر لم

ينـجُ فـي صـراعه ضـد القـوى الامبرياليـة والتـابعين لهـم مـن حكـام العـرب مـن التبعيـة والتقوقـع فـي محـيط لمركـز متسـلط واسـتعماري مغـاير وهـو مـا سَيسـلط الضـوء عليـه في محور تعرية الخطاب مابعد كولونيالي عند النوّاب .

يظهـر مـن مفهـوم التهجـين فـي المجـال السياسـي أنَّ الـذات الهجينـة للحـاكم العربـي وإن كانـت مركـزاً وقطبـاً فـي بلـده لكنهـا تحولـت إلـى هـامش لمركـز أو أكثـر مـن مراكـز القوى العالمية المتصارعة .

ث- الـــذات المقموعـــة ، وتشـغل هـذه الحيـز الأكبـر فـي تصـنيف الـذوات فـي البنيـة الاجتماعيـة وتتمـاز هـذه الـذات بـأنّ الأولـى – المقموعـة – مفتعلـة والأخـرى – القامعـة – هـي فاعلـة فـي محـور صـراع بينهـا وبـين السـلطة . ولعوامـل كثيـرة منهـا ضـعف الأدوات والاتكاليـة وغيـاب الـوعي فـي اسـترداد الحقـوق والتراكمـات السـلبية اجتماعيـاً ودينيـاً ، كـل ذلـك وفـرت بيئـة خصـبة للـذات القامعـة فـي ارغـام الـذوات المقموعـة لمخططـاتهم المعلنـة والسِّـرية وتـذويتهم فـي عمليـة صـناعة المجتمـع لتفضـي إلـى عـيش الـذات المقموعـة فـي سلسـلة مـن الازمـات والنكبـات مـن الميـلاد إلـى الوفـاة . وقـد نظـر الفرنسـي لـوي التوسـير إلـى هـذه الـذات بوصـفها " اسـتدخال السـلطة فـي الـذات ويشـمل علـى كـل مـن دفـع الشـخص إلـى ادراك واعٍ مكتمـل ومسـيطر عليـه فـي آنٍ معـاً .[17] وهـذا التصـنيف مـا بعـد الكولونيـالي للـذات نلمسـه فـي هـذا المقطـع الشـعري عنـد النـواب[18]:

آباء الغرب المحترمين سلاماً
نحن النجس الشرقي جئنا لنقدم هذا الشكر لكم
أحباب سفينتنا همس القبطان بدون عويل
وبدون صراخ شرقي
صفاً صفاً فالغرب يحب التنظيم
وآلا يهتم بعاصفة متاخرة يذرفها الشرق البائس
من أولئك ..قذر ... نجس شرقي "

امـتص النـوّاب بآليـة التمثيـل التهكمـي تمييـز المسـتعمِر للآخـر المخـالف عنـه والعلاقـة بينهمـا فـي الثنائيـات المتقابلـة الآتيـة : (الغـرب \ الشـرق) ، و(الطهـارة \النجاسـة) ، و(التنظـيم \ التشـتيت) ، و(السـعيد \ البـائس) فـي نطـاق التنـازع القيمـي والحضـاري والثقـافي والمعرفـي لهتـك الأفكـار اللامنطقيـة عنـد الغـربيين وتقـويض

معتقداتها المحورية في العزل والاختزال . وتظهر آثار السلطة الكولونيالية في شعوب مابعد الاستعمار بوساطة قمعها للذوات المغايرة في عملية التذويت وتحويل الآخرين وفقاً للتنميط والصفات السكونية وتسميتهم بمحددات سلبية معينة . إنَّ اعادة الذات المقموعة لرؤية المستعمرين وأفعالهم في وصف الشرق – ومنهم الشاعر – لم يكن بدافع صحة تلك المعتقدات والتصورات الغربية بوصفهم سلطة عليا وخارجية في تكريس مخططاتهم بل جاءت لإدانة تلك المفاهيم أولاً ورفض تلك الطبقة السياسية من حكام العرب المنقادة لقرارات الدول الامبريالية ومشاريعم التوسعية ثانياً ، فتلك الشريحة السياسية العربية تنضوي تحت ما دعاه ألتوسير بأجهزة الدولة الايديولوجية بشكل من الأشكال .[19]

وفي قصيدة " ديان سياسي" يضيء النوّاب للمتلقي أشكالاً من الهيمنة السياسية والعسكرية والخدمية قاصداً بذلك إبراز الذات المقموعة في ضوء علاقة القوة واخضاع الآخر في بنيات مختلفة كما في قوله :[20]

"فالثورة ليست خيمةٌ فصل للقوات

ولا تكية سلم للجبناء

وإياكم أبناء الجوع فتلك وكالة غوثٌ أخرى "

يُسفر المقطع الشعري إشارات عن تشكيلات مؤسساتية لممارسة السلطة واذلال الآخر وقهره ومن تشكيلات القمع تلك هي قوات حفظ السلام – خيمة فصل للقوات– ، ومشاريع السِّلم ومؤتمراته في قوله : تكية سلم للجبناء ، وأخيراً وكالة الإغاثة الدولية في قوله – وكالة غوث . هذه الأشكال المؤسساتية ما هي إلا أقنعة للسلطة القامعة للتحكم في الذوات المقموعة وتطويعها .ويؤسس النص لجدلية (العصيان والاذعان) ففي الدالين " الثورة " و " إياكم " دلالة على نسق المقاومة ورفض لآليات السلطة الامبريالية الدولية لتمرير النفوذ وتوطين الغطرسة ومن أجل ذلك وظّف النوّاب اسلوب النفي للتدليل على الوعي المغاير للخضوع والاستسلام ، ومن أجل ذلك أيضاً خَلَقَ سياقاً مناهضاً لتزويقات المؤسسة الامبريالية وخلخلة المعادلة بين المستكبرين والمستضعفين وبناء على ذلك فالثورة تمنح موقع المركز للمجتمعات المقموعة في قبال الدور الهامشي لهم إنْ رضخوا لعمل تلك الوكالات والمنظمات .

المحور الثالث : تعريّة الخطاب مابعد الكولونيالي عند النوّاب

يعد الخطاب الشعري عند مظفر النواب متناً أدبياً بارزاً في نقد الكولونيالية والكولونيالية الجديدة بَيدَ أن هذا المتن الأدبي يعاني من تصدعات فكرية في دعوته إلى مقاومة الاستعمار وفضح إرثهم الثقافي والايديولوجي ، إذ احتوى فكر النواب في تجربته الشعرية ورؤيته الخاصة تسريبات لمرجعيات ثقافية وتاريخية لا منطقية لنسق مناهضة الاستعمار والإمبريالية مرة ، ومواقف من أحداث سياسية معاصرة تارة أخرى . وفي ضوء ذلك وخلافاً لمن يرى أن النص الأدبي مابعد الكولونيالي فيه نسقان من الكتابة هما ، 1-نسق كتابة المستعمر الذي يهدف إلى تمثيل الآخر وتصويره ضمن استراتيجيات خطابية محددة . 2-نسق كتابة تقوم على نقض ما قاله الآخر والرد بالمقاومة .[21] يرى الباحث اضافة نسق ثالث يُرصَدُ فيه تعرية الخطاب مابعد الكولونيالي وهذا الخطاب يتضمن احياء مشاريع توسعية في الموروث التاريخي والحضاري للأمة وكذلك تقويض ازدواجية المنهج الاعتقادي عند الأديب أو الشاعر .

إنّ هدف هذا المحور في الدراسة هو رصد خروقات خطاب النوّاب مابعد الكولونيالي ، وتعريّة منهج النخبة الثقافية المتجسدة هنا في شاعر الثورة والنضال كما هو موصوف في بعض القراءآت والدراسات . واتكأ هذا الرصد على منطلقين هما :

أ-المنهج الاعتقادي ، ويقوم هذا المنهج على نقد عقيدة الكاتب الأيديولوجية والمرجعية السياسية التي يؤمن بها وفقاً لنسق المعرفة وصراع الآيديولوجيات وبهذا فإنّ الشاعر يرى المشروع الاستعماري بعين واحدة ، ورؤية مزدوجة ، وتحيّز غير مسوغ بأي شكل من الأشكال ففي سياق ثورة الظِفاريين في سلطنة عمان نلمس جليّاً عند النواب شعراً ثورياً عابراً للجغرافيات السياسية وموقفاً رافضاً للتدخلات العسكرية الاستعمارية كما في النص الآتي :[22]

" ماذا يدعى إرسال الجيش الإيراني إلى (قابوس) ؟

وقابوس هذا سلطان وطني جداً لا تربطه رابطة ببريطانيا العظمى

وخلافاً لأبيه وُلِدَ المذكور من المهد ديمقراطياً "

خطاب النواب سياسي بجلباب أدبي متخذاً من السخريّة اسلوباً في الرفض ومن السرد الفني سبيلاً في المعارضة و لكنّه ينقصه التوازن في الرؤية للمبادىء ففي الوقت الذي يرفض فيه التدخل العسكري الإيراني لحماية نظام قابوس من الانهيار

وقمع ثورة ظِفار لا يرى مثلبة في الدعم الخارجي لهم – أي للثوار – وتدخل القطب الاشتراكي في مساندتهم إذ يُظهر السياق التاريخي والسياسي وتجاذبات الصراع الإقليمي والدولي المحاطة بتلك الثورة الموقف الحقيقي لكفاح النوّاب ضد الإميريالية العالمية فثورة ظفار حملت أيديولوجية اشتراكية شيوعية يدعمها الإتحاد السوفياتي عن طريق اليمن الجنوبي الإشتراكي وبتمويل من ليبيا بقيادة القذافي هو وبعض الإشتراكيين من الدول العربية .[23] ومن ثم فإنَّ النص الشعري المنوه به أبرز في ضوء المقام التاريخي والسياسي والايديولوجي سَوءَة الخطاب في بعده الثقافي وكشف عن عيوب ثقافة شريحة اجتماعية فاعلة ونخبة مثقفة كان النواب من روادها وتمثّل ذلك بقبول الشاعر هيمنة الشرق المتمظهر بالقطب الإشتراكي بزعامة الإتحاد السوفياتي ورفضه في الوقت نفسه لكونيالية الغرب وامبرياليته ، ولا سيّما بريطانيا . إنَّ ايديولوجية السخرية في عقيدة الشاعر السياسية وبصيرته الفكرية في هذه البنية النصية بوصفها احدى الحوادث الثقافية حافلة بالاستنكار لتبعية القوى الإمبريالية والاستهزاء بالسلطان قابوس ووالده ولا سيما شعار الوطنية والديمقراطية المترشحتين من دعوات الأنظمة السياسية العربية والغربية فهو لا يسوغ الاستعانة بالأجنبي والتدخل العسكري الإيراني سواء أكان إقليمياً –فارسيا– أم دولياً – بريطانياً – من أجل المساعدة لمواجهة الثوار والقضاء على ثورتهم المسلحة .

وعليه يفضي التحول من السياق اللغوي للنص الشعري إلى السياق الثقافي والتاريخي إلى الكشف أن الإبداع في مجال من المجالات لا يعصم المبدع من الانزلاق في مواقف غير منطقية مع المنظومة الفكرية الموجهة له ولا تسعفه تجاربه لنفض تعارضات الفكر اليساري وهيمنة الشرق في الممارسة والتطبيق فهو مابرح يدك قلاع كولونيالية الغرب وامبرياليتهم بمعاول الأدب والانتماء الحزبي ، غاضاً طرفه ولو بنص يتيم يرفض به امبراطوريات الشرق ومشاريعهم التوسعية ولاسيما الهيمنة السوفيتية والصينية في مناطق مختلفة من آسيا وأوروبا .

ب–الهوية القومية ، وظّف النواب هذا النمط من الهويات في نصوصه الشعرية وهو سلوك ممجوج ومرفوض في الخطاب النقدي مابعد الكولونيالي ؛ لأنّه سبيل الأصولية الثقافية أو القومية أو الدينية ولتأكيد ما بعد الكولونيالية على هويتها الإنسانية الأوسع في طرحها لمفهوم التلاقح الثقافي ولأنَّ مبدأ الهوية النقية مفهوم صنعه الغرب ومن ثم فلابد من الثقافات الأخرى استيراده وتبنيّه من منطلق رد

الفعل .[24] وعلى الرغم من يسارية فكر النوّاب يستثمر القومية بوصفها استراتيجية في مجابهة الكولونيالية والكولونيالية الجديدة وهذا الاشتغال يظهر واسعاً في نتاجه الشعري ولاسيما في عنوان قصيدته " القدس عروس عروبتكم " علماً أن القومية ذاتها فكرة أوربية جاءت من أوربا مع الاستعمار ثم ورثتها مجتمعات العالم الثالث وهذا المفهوم – أي القومية –رفضها أيضاً أدوارد سعيد بوصفها أساساً للهُوية .[25]

نتائج البحث

نَدِيَتْ عن هذه الدراسة نتائجٌ يمكننا اجمالها بما يأتي :

1– كشف الخطاب الشعري ما بعد الكولونيالي عند النواب عن توظيف طرفي الصراع – المهيمن والمهيمن عليه –للمرويات الكبرى من أجل فرض الهوية أو حمايتها .

2– يُستشف من عامل الكم للنصوص الشعرية أن المقاومة بالأدب تساوي أو توازي الكفاح المسلح عند النوّاب.

3–شكّل المنفى والمهاجر ميداناً رحباً في نصوص الشاعر وهما من القضايا البارزة التي اعتنت بها نظرية مابعد الكولونيالية .

4–اتخذ التابع بوصفه من المفاهيم الرئيسة في نظرية مابعد الكولونيالية نمطين من الظهور ، الأول خارجي للمستعمِر والأخر داخلي متجليّاً في صور الطبقة والقومية والسلطة .

5–من خصائص استراتيجيات الكتابة الفنية عند النوّاب في نقد المتن الاستعماري وسلوكياته هي الهجاء والتهكم والتمثيل والتنميط والنصوص المفتوحة على تأويلات مختلفة .

6–المحور الرئيس في نقد النوّاب للاستعمار والامبريالية انصب على القضية الفلسطينية ثم الاستعمار الفارسي وهيمنته في الخليج العربي وأخيراً الاحتلال العثماني لكن في مساحة ضيقة .

7–نسق الرد على آثار الكولونيالية والكولونيالية الجديدة لم يقتصر على منطقة الشرق الأوسط بل شمل الشعوب الآسيوية أيضاً .

8–إلتقاء الخطاب ما بعد الكولونيالي مع الخطاب الكولونيالي بالصفات السلبية في وصف الشرق لكن بمقاصد مغايرة .

9-اجتـــرار المســـتعمَر إنتـــاج آليـــات المســـتعمِر فـــي الرؤيـــة والممارســـة ومنهـــا الإرهـــاب والعنف والهُوية .

10-لـــم تعـــتنِ الزنوجـــة وتشّـــكل الامبرطوريـــات بوصـــفهما مـــن القضـــايا المهمـــة فـــي دراسات مابعد الكولونيالية في الساحة الأدبية عند النواب بأهمية تذكر .

الهوامش

1- ينظر شبكة النبأ المعلوماتية ، مصطلحات اجتماعية : التبعية ، annabaa :org

2-الأعمال الشعرية الكاملة ، مظفر النواب ، طبعة جديدة ، الأوديسا : 297

3-م . ن : 142

4-م . ن : 92

5-م . ن : 353

6-الدراســـات مـــا بعـــد الكولونياليـــة ،المفـــاهيم الرئيســـة : بيـــل أشـــكروفت وآخـــرون ، ترجمـــة : أحمـــد الروبي وآخرون ، المركز القومي للترجمة ، مصر ، 2010 : 254

7-الأعمال الشعرية الكاملة : 141

8-ينظـــر دليـــل مصـــطلحات الدراســـات الثقافيـــة والنقـــد الثقـــافي اضـــاءة توثيقيـــة للمفـــاهيم الثقافيـــة المتداولـــة ، د.ســـمير الخليـــل ، مراجعـــة وتعليـــق د.ســـمير الشـــيخ ، دار الكتـــب العلميـــة ، بيـــروت – لبنـــان ، ط 1 : 237

9- ينظر م . ن : 9

10-الاعمال الشعرية الكاملة : 24

11-م .ن : 178

12-ينظـــر خمســـون عالمـــاً اجتماعيـــاً أساســـياً المنظـــرون المعاصـــرون ، جـــون ســـكوت ، ترجمـــة محمود محمد حلمي ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 2009 : 281

13-معـــذبو الارض ، فرانـــز فـــانون ' ترجمـــة ســـامي الـــدروبي وجمـــال الأتاســـي ، منشـــورات أنـــيس ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 2004 : 25

14-وثيقـــة مفهـــوم الإرهـــاب والمقاومـــة رؤيـــة عربيـــة – اســـلامية ، تمـــوز \ يوليـــو 2003 ، مركـــز دراسات الشرق الأوسط ، mesc.com.jo \\ : http

15-م .ن

16-الأعمال الشعرية الكاملة : 352 – 353

17-ذات ..تـــذويتها واختزالهـــا ، عـــلا شـــيب الـــدين ، Negative ،اســـبوعية (ثقافـــة فكريـــة) ، http://negative press latakia.wor dpress.come

18-الاعمال الشعرية الكاملة : 135-136

19- ذات ..تـــذويتها واختزالهـــا ، عـــلا شـــيب الـــدين ، Negative ،اســـبوعية (ثقافـــة فكريـــة) ، http://negative press latakia.wor dpress.come

20-الأعمال الشعرية الكاملة : 422

21-خطاب مابعد الكولونيالية ، المصطلح والمفهوم : رامي أبو شهاب ، الحوار المتمدن ، https:\\m.ahewar.org

22-الأعمال الشعرية الكاملة : 352 – 353

23-ينظر ثورة ظفار حركة ثورية سياسية معادية للسلطان سعيد بن تيمور ، ويكيبيديا ، ar.m.wikipedia.org

24-صفحة المدى الثقافي ، ادوارد سعيد ، مفارقة الهوية والتاريخ ، ناجح المعموري ، htt:\\almadapaper.net\paper.php?source=akbar&mlf=copy&sid=30774

25-ينظر هوية الأدب بين الحضور والغياب في الخطاب النقدي العربي ما بعد الكولونيالي ، د.طارق ثابت ، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي ، كلية الآداب واللغات (الجزائر) ، مجلة الأثر ، العدد 21 \ ديسمبر 2014 : 106

مصادر البحث ومراجعه

- الأعمال الشعرية الكاملة ، مظفر النواب ، طبعة جديدة ، الأوديسا .

-ثورة ظفار حركة ثورية سيساسية معادية للسلطان سعيد بن تيمور ، ويكيبيديا ، ar.m.wikipedia.org

24-صفحة المدى الثقافي ، ادوارد سعيد ، مفارقة الهوية والتاريخ ، ناجح المعموري ، htt:\\almadapaper.net\paper.php?source=akbar&mlf=copy&sid=30774

-خطاب مابعد الكولونيالية ، المصطلح والمفهوم : رامي أبو شهاب ، الحوار المتمدن ، https:\\m.ahewar.org

-خمسون عالماً اجتماعياً اساسياً المنظرون المعاصرون ، جون سكوت ، ترجمة محمود محمد حلمي ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 2009

-الدراسات ما بعد الكولونيالية ،المفاهيم الرئيسة : بيل أشكروفت وآخرون ، ترجمة : أحمد الروبي وآخرون ، المركز القومي للترجمة ، مصر ، 2010 .

-دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي اضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة ، د.سمير الخليل ، مراجعة وتعليق د.سمير الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 1 .

-ذات ..تذويتها واختزالها ، علا شيب الدين ، Negative ،اسبوعية (ثقافة فكرية) ، http://negative press latakia.wor dpress.come .

- شبكة النبأ المعلوماتية ، مصطلحات اجتماعية : التبعية ، annabaa :org

-معذبو الارض ، فرانز فانون ، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي ، منشورات أنيس ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 2004 .

-هوية الأدب بين الحضور والغياب في الخطاب النقدي العربي ما بعد الكولونيالي ، د.طارق ثابت ، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي ، كلية الآداب واللغات (الجزائر) ، مجلة الأثر ، العدد 21 \ ديسمبر 2014 .

-وثيقة مفهوم الإرهاب والمقاومة رؤية عربية – اسلامية ، تموز \ يوليو 2003 ، مركز دراسات الشرق الأوسط ، http : \\ mesc.com.jo .